

تطور البحث الدلالي

(55) التي حققها القرآن الكريم ، وما يقال في جميع السور والآيات الأخرى ، وبالنسبة للصنوف البديعة كافة . وهنا – ونحن في هذا السياق – أود أن أشير إلى صيغة تنسجم مع هذا العرف الذي نتحدث عنه بإيجاز ، هذه الصيغة هي كلمة " المقابر " في قوله تعالى : (الهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر *) (1) كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون *) (2)، فإذا جاز له الانتقال بها جاز له الانتقال فيما قبلها مباشرة كما هو ظاهر ، بل إن هذا اللفظ " المقابر " يفرض نفسه فرضاً قاطعاً ، وذلك أن هذا الإنسان المتناسي الطاعني المتكاثر بأمواله ولذاته ، وشهواته ، ومدخراته ، ونسائه ، وأولاده ، ودوره ، وقصوره وخدمه وحشمه ، وإداراته وشؤونه ، وهذا كله تكاثر قد يصحبه التفاخر ، والتنايز ، والتنافر ، إن هذا مما يناسبه " المقابر " وهي جمع مقبرة ، والمقبرة الواحدة لا سيّما المترامية الأطراف مرعبة هائلة . فإذا ضمنا مقبرة أخرى ومقبرة مثلها ازددنا إحاشاً ورعباً وفزعاً ، فإذا أصبحت مقابر عديدة ، تضاعف الرعب والرهب ، إذن هذا التكاثر الشهواني في كل شيء ، يناسبه ويوافقه الجمع المليوني للقبور ، لتصبح مقابر لا قبوراً ولو قيل في غير القرآن بمساواة القبور للمقابر في الدلالة لما سد هذا الشاغر الدلالي شيء آخر من الألفاظ . وتعقب الدكتور بنت الشاطئ على هذا الإدراك فتقول : " وقد تجد الصيغة البلاغية في استعمال المقابر هنا مجرد ملائمة صوتية للتكاثر ، وقد يحس أهل هذه الصنعة ونحن معهم فيها ، نسق الأيقاع ، وانسجام النغم لكن أهذا كل ما في استعمال لفظ " المقابر " في آية التكاثر ؟ . الذي أراه أن وراء هذا الملحظ البلاغي اللفظي ملحظاً بيانياً يتصل _____ (1) سورة التكاثر : 1 – 2 . (2) سورة التكاثر : 3 –